

الفصل الرابع الغايات التمهيدية المجتمعية

الفصل الثالث

الغايات التمكينية المجتمعية

ذكرنا أن الفرد يحقق غاية الحرية أو إنماء الفطرة ويحافظ عليها بجهد منه، فهو مسؤول عن ذلك بصفته فرداً، وأنه لا بد وأن يحقق بنفسه غايات تمكينة من إنماء فطرته، وهى غايات تعلم تحصيل العلم، والحكمة، والتزكية، والعمل، وكسب الرزق ليؤدى بها وظيفته فى الحياة خليفة لله فى الأرض، وليدراً عن نفسه ما يفسدها.

ذكرنا أيضاً أن تحقيق الحرية المستنيرة للأفراد مسؤولية إجتماعية، فالمجتمع بقياداته ومؤسساته مسؤول أيضاً عن تحقيق هذه الحرية بإتاحتها الفرص لكل أفرادها لكى يفكروا ويجربوا ويكتشفوا الحرية بأنفسهم، وباتاحة التعليم الصادق والتوجيه، وضبط حركات أفرادها فى منظومة عادلة العلاقات سليمة التواصل بلاقهر، ولاقسر، ولكى تتحقق هذه المسؤولية الاجتماعية لا بد وأن يتكاتف أفرادها معاً لكى تكون بنية المنظومة المجتمعية مؤهلة أفرادها لتوفير الحرية العامة والخاصة .

أساس هذه البنية وضحه القرآن وبينتة السنة فى آيات عديدة ، وأحاديث كثيرة، تشرح الغايات المجتمعية التى تمكن أفراد المجتمع من تحقيق الحرية ، وهى أعمال مرتبة منظومة ، تقوم على استبصار للحرية المستنيرة فى ظل ظروف المجتمع الموضوعية، يبذل فيها الفرد مع الآخرين جهداً للحفاظ على بنية المجتمع فى أكثر الأوضاع تحقيقاً لنماء الفطرة ولأكبر قدر من المصالح للناس وأقل المفاسد.

الحفاظ على الفطرة وتنميتها يكون بأمرين، أحدهما ما يقيم أركانها ويشبث قواعدها، والثانى ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع ، فكما أن تعليم الفرد العلم والحكمة غايات فردية تنمى الفطرة وتحفظ التوحيد ، وان العمل والتزكية يدومان عنها

الاختلال ، فلكذلك هناك غايات مجتمعية ينبغي أن تتحقق لتحفظ هذه الفطرة وتدعم التوحيد وتدرأ عنه الأختلال .

تحديد هذه الغايات التمكينية على مستوى المجتمع يتطلب منا أن نحدد معنى المجتمع الذى يرادفه فى القرآن لفظ الأمة غالبا، والذى سنستعمله من الآن فصاعداً بالتبادل مع لفظ المجتمع ، ثم نحدد بعد ذلك معنى المصلحة والمفسدة، ونوضح الميزان الذى تزن به الأمة الإسلامية الأعمال ، فتحكم على عمل ما أنه مصلحة، وعلى آخر أنه مفسدة .

" الأمة هى الشعب فى العبرية وآرامية العهد القديم، والسريانية " أمتا " والأكدية " أمات " ، والكلمة الأكدية تدل أيضا على الجيش، وفى الأوجاترية " umt " " أم ت " بمعنى عشيرة " (١) .

الأمة تعنى الجماعة من بنى البشر، ولا تكون الجماعة مطلقا، وإنما هى بمعنى الذين تربطهم رابطة إجتماع يعتبرون بها واحداً، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد كاسم أمة ، يؤكد هذه الرابطة قوله تعالى ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ ؛ أى كل نوع منها على طريقة قد سخره الله عليها بالطبع، فهى من بين ناسجة كالعنكبوت، وبانية كالسُرْفَة، ومدخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقتة كالعصفور والحمام ، إلى غير ذلك من الطبائع التى تخصص بها كل نوع . وقوله تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ أى صنفا واحداً، وعلى طريقة واحدة فى الضلال والكفر، وقوله ﴿ولولاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ أى فى الإيمان، وقوله ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ ؛ أى جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم (٢) .

١- مجمع اللغ العربية: المعجم الكبير ، جزء ١ ، ص ٥٠٥ .

٢- الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن .

وهكذا يتبين من التعريفات السابقة أن الأمة تعنى الجماعة من بنى البشر ، ولا تكون بمعنى الجماعة مطلقاً ، وإنما هى بمعنى الجماعة الذين تربطهم رابطة اجتماع يعتبرون بها واحداً ، وتسوغ أن يطلق على جميع أفرادها اسم واحد ، وأن ينعت كل واحد منهم نعتاً واحداً ؛ وهم فى هذا الكتاب أمة التوحيد ، أمة الاسلام يرتبط أفراد الأمة بعضهم ببعض فى المعاش ، ولايسهل على واحد منهم أن يعيش إلا مجتمعاً متعاوناً مع غيره ، ولايمكن أن يستغنى بعضهم عن بعض ، فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشئ من عمله ، لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيتة جميع ما يحتاج إليه ، فلا بد من إنضمام قوى الآخرين إلى قواه ، يستعين بهم، ويستعينون به .

كذلك فإن عقول البشر وغرائزه وحدها ليست كافية فى توجيه أعمالهم إلى مافية كل صلاحهم ، ووضع المعايير التى تحقق الحرية مع أكبر النفع للجميع ، فلا بد لهم من هداية أخرى تعليمية ، تتفق مع القوة المميزة للإنسان ، قوة الفكر والنظر ، تلك الهداية التعليمية هى هداية الرسل منهم ، والكتب التى ينزلها الله عليهم مع الأدلة القائمة على عصمة الرسل من الكذب ، وعصمة الكتب من الخطأ ، وعلى الناس أن يستعلموا عقولهم فى فهم الأدلة على الرسالة والعصمة أولاً . وسطوع الأدلة يحمل المستعدين منهم على التصديق حتماً ، فإذا عقلوا ما جاءت به الرسل وجب عليهم أن يقوموا عليه ، ولا يعدلوا بعمل من أعمالهم عنه ، وعليهم أن يقفوا على حكم الله فى تشريع شريعته، ووضع ماقرره من أحكام ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن تبسع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة: ٣٨) ، فإن الغفلة عن حكمة العمل غفلة عن فائدته، والغفلة عن فائدته انصراف عن روجه التى لا يقوم إلا بها ؛ وفى ضوء ذلك تقوم مقولة هذا البحث على أن المجتمع المسلم هو الأمة التى أسلمت وجهها لله ، يضع لها منهاجها لتنمية الفطرة أو منهاجها للحرية المستنيرة .

المصلحة والمفسدة

" حقيقة المصالح أربعة أنواع ، وهى اللذات وأسبابها ، والأفراح وأسبابها ؛
والمفاسد أربعة أنواع أيضا ، هى الآلام وأسبابها والغوم وأسبابها ؛ وهذا تعريف عام .

" الناس مختلفون متفاوتون فى طلب اللذات وفى درء الغوم المؤلمات ؛ فمنهم من
يطلب الأعلى ، وقليل ما هم ؛ ومنهم من يقتصر على طلب الأدنى ؛ فمن طلب لذات
المعارف والأحوال فى الدنيا ، ولذة القرب من الله فى الآخرة فهو أفضل الطالبين ؛
ومن طلب نعيم الجنة وأفراحها فقط فهو فى الدرجة الثانية ، ومن طلب أفراح هذه
الدنيا ولذاتها فقط فهو فى الدرجة الثالثة " (١)

ليست هناك مصالح خالصة؛ فإن المآكل والمشارب والملابس والمساكن.....الخ
لايصلها الإنسان إلا بنصب مقترن بها أو سابق عليها أو لاحق بها ، وأن السعى فى
تحصيل كل هذه الأشياء شاق على معظم الخلق ، فإذا حصلها الإنسان اقترن بها من
الآفات ماينكدها وينقصها- فانظر الى المآكل مثلا والمشارب: يتألم الإنسان بإحساسه
بالجوع والعطش ، ثم يتألم بالسعى فى تحصيلها ، ثم يتألم بما تصير إليه من نجاسة .

يقسم علماء الشريعة المصالح ثلاثة أقسام - واجبة التحصيل ؛ فإن عظمت
المصلحة وجبت . والقسم الثانى مندوبة التحصيل . والثالث مباحة التحصيل -
والمصالح الدنيوية منها ناجزة الحصول كمصلحة المآكل والمشارب والملابس والمساكن
والمراكب والمعاملات الناجزة الأعواض. ومنها مصالح متوقعة كالاتجار لتحصيل الأرباح
وبناء الديار.. وكذلك المفاسد فمنها مايجب درؤه كالقتل والغصب والزنا ، وإفساد
العقول ، والدنيوى منها فيه قسم واجب الإزالة كالجهل والجوع والظمأ والعرى .

١- العز بن عبد السلام : قواعد الأحكام فى مصالح الأمام ، ج ١ ، ص ٤٣ .

الشيء الهام الذى ننبه إليه أنه إذا عظمت المصلحة أوجبها الرب فى كل شريعة ، وكذلك إذا عظمت المفسدة حرمها فى كل شريعة .

الشيء الهام الثانى أن من المصالح ما هو فرض عين كتعلم ما يتعين من أحكام الشريعة وقراءة الفاتحة وأركان الصلاة ، والزكاة ، ودفع الجهل ، وتوفير المطعم والمشرب والملبس ، وحفظ النفس ، والعقل ، والمقصود بفرض تكليف الأعيان حصول المصلحة لكل واحد من أفراد الأمة ، وهكذا أوردنا بعض هذه المصالح ضمن الغايات الفردية التى يجب أن توفرها التربية لكل فرد ، وهكذا أيضا ترد بعض هذه المصالح ضمن الغايات التى يجب أن توفرها التربية فى المجتمع

الشيء الهام الثالث " أن عمل الإنسان إما مصلحة أو مفسدة ، والمصلحة إما أن تكون مصلحة لحياته الدنيا ، أو مصلحة للدار الآخرة ، أو مصلحة للحياة الدنيا والآخرة ، وهو مأمور من الله بها ، ويتأكد الأمر بها على قدر مراتبها فى الحسن والرشاد ؛ وأعلها مرتبة هو المعرفة والإيمان . أما المفسدة فهى أنواع كذلك ، وهى منتهى عنها من الله أيضا ، ويتأكد النهى عنها على قدر مراتبها فى القبح والفساد^(١) ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتباع ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (النحل : ٩٠) .

الشيء الهام الرابع أن المصالح التى تفيد الإنسان فى دنياه وآخرته لاتعرف إلا بالشرع ، بكتاب الله وسنة رسوله ، أما المصالح الدنيوية وأسبابها ومفاسدها فطريق معرفتها وتحديدتها هى التجربة والعادة والظنون العلمية ؛ فإن خفى شئ من ذلك طلب من أدلته ، وعلى الانسان أن يعرض ذلك كله على عقله بتقدير أن الشرع لم يرد به ، ثم يبنى حكمه ، فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك إلا ماتعبد الله به عباده ولم يقفهم

١- العز بن عبد السلام : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠ ، ١١ .

على مصلحته أو مفسدته . وبذلك تعرف الأعمال حسننها وقبحها، وعلى ذلك فمعظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروف بالعقل" (١)

المزلة والمدرسة والجامعة أول مكان يفقه فيه الفرد الغايات المجتمعية فهي داخلية في كل أعمالنا المتصلة بعلاقاتنا بغيرنا، حتى ولو لم يخطر ببالنا أثرها الاجتماعي لحظة القيام بها، وهي لا تتم في فراغ، بل هي كائنة في العلاقات الاجتماعية؛ بحيث إذا انتفت الجماعة صعب تحقيق هذه الغايات، ولذلك فإن تحقيقها يستلزم أن تكون المدرسة نفسها حياة إجتماعية بكل ما فيها من أخذ وعطاء وتواصل في إنجاز خبرات مشتركة، حيث تنمو الاهتمامات بالجماعة، ويستلزم تحقيقها أيضا أن يكون التعليم في المدرسة والجامعة متصلا بالتعلم أو جزءاً من التعلم خارجها، وأن يتميز هذا التعليم بالتفاعل بين المدرسة والمجتمع تفاعلاً حراً، من خلال وجود إهتمامات مشتركة وإلا كانت المدرسة شبيهة بدير الرهبان وصوامعهم، وصعب على خريجها العيش في المجتمع العام والرقى به، واستحالة عليهم إدراك المصلحة العامة من المصلحة الفردية .

ميزان الأعمال :

الأصل في أعمالنا أنها مختلفة من حيث نوعها وصفاتها وعاقبتها وما يعود منها على فاعلها، أكد ذلك الله تعالى بقوله ﴿إن سعيكم لشتى﴾ (الليل: ٤)، منها الحسن ومنها القبيح، ومنها المفيد، ومنها الضار، ومنها الإعطاء، ومنها المنع، ومنها التكذيب بالحسنى، ومنها التصديق بها، ومنها ما يشقى به فاعله، ومنها ما يسعد به .

مع أن الناس يكادون يتفقون اتفاقاً تاماً على إختلاف الأعمال نوعاً، ويميزون كل نوع، إلا أن كثيراً منهم لا يكادون يتفقون على صفاتها وعواقبها من حيث قيمتها

١- العز بن عبد السلام: المرجع السابق، جزء ١، ص ١١ .

الخلقية ، أى من حيث كونها مصلحة للمجتمع أو مفسدة ؛ فإن البخيل، مثلا ، إنما بمسك الفضل من ماله ولا ينفقه فى أعمال البر ، وهو يعتقد أنه لم يمنع حقا ، وأنه وفى حق الحق ، لأنه يرى فى توفير المال صون النفس عن الحاجة وتمتعها بالكرامة وعلو المنزلة ، وهو أمر مطلوب لأهل العقل ، فهو - باعتقاده هذا قد أدخل عمله فى جنس أعمال المقتصدين وأهل الوقار والكرامة كذلك يعتقد كثير من الناس أن البخيل هو الذى لا يتمتع بماله فى التلذذ بأكله ومشربه وملبسه ، وهذا بمجرد لا يعد بخلا ؛ لاشرعاً ، ولا فى اصطلاح علماء الأخلاق . إنما البخيل هو الذى لا يبذل ماله فى سبيل الخير- خصت أو عمت - وإن أتفق جميع أمواله فى لذاته ولذات أمثاله ، أو هو الذى لا يعطى الحق فيما يطالبه به الحق ؛ ومنفعته العامة والمرحمة للخاصة من أعظم أنواع الحق . (١)

لهذه المفارقات فى الحكم على الأعمال إذا تركنا الأمر لعقولنا وحدها - ولأهمية ذلك الحكم لسلامة المجتمع أنزل الله سورة كاملة بل سورا تضع الميزان العام للأعمال ؛ منها سورة الليل ، وهى تبين أن العمل الحسن ، أو المصلحة ، هو الذى يقوم على العطاء ؛ أى يتعدى نفعه صاحبه ، فيقدمه صاحبه لسد حاجة المسكين أو إغاثة المعدم الكريم ، أو للإعانة على النفع العام ؛ فهو يشارك الناس به ويتواصل معهم كما يقوم على التقوى ، فهو العمل الذى لا يؤذى الناس ، ولا ينشر فاحشة ، على أساس أن فاعله مصدق بالشريعة ، مصدق بثبوت الفضيلة والعمل الطيب ، وبالفرق بين الفضيلة والرذيلة ، وبين العمل الطيب والخبيث ، كما بينه الله فى شريعة الاسلام . ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (الليل ٥-٧) .

كما تبين السورة أن المفسدة أو العمل السيئ يقوم على إمساك المال أو الجهد أو غيرها من وسائل العمل ، وقصر استخدامها على شهوات صاحبها ولذاته ، ولا ينفقها

١- الامام محمد عبده: القرآن الكريم، جزء عم، ص٧٦-٧٨ .

فى الوجوه التى ذكرناها فى العمل الحسن ، كما يقوم العمل السيئ أيضاً على استغناء صاحبه بماله وقوته عن الناس ، أى أن فاعله لا يحس بوجود الناس إلا عند حاجته إليهم ، فلذلك لا يجد فى نفسه المرحمة لهم ، ولا يحاول التواصل بضعفائهم ، ولا يشاركهم خبراتهم ، وهم بالتالى لا يشاركونه . فالكلمة التى يقولها غالباً هى "دع الخلق للخالق" "وأنا مالى" ، وأمثالها . فأساس ذلك أنه يكذب بثبوت الفضيلة ، بصفتها أصلاً من أصول الإنسانية وركناً من أركان الشريعة ، والعمل الفاسد دليل على ذلك (١)

هذه المعايير والأوزان التى أوردتها سورة الليل توضح الإطار العام ، وتؤكد صفات فى فاعل العمل الحسن كالعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى والجزاء ، وتؤكد ضدها فى صاحب العمل السيئ . لكن الأمة شريكة للفرد فى الحياة ، ومن ثم لزم أن تكون المعايير موضوعية أيضاً خارجة عن ذات فاعل العمل ليتفق الناس عليها .

حدّدت سورتان هذه المعايير الموضوعية . فهذه سورة البلد بعد أن ذكرت أن الإنسان خلّق ليجد ويكد فى بلوغ الغاية من نموه ، وهذا أمر مشهود وشيئ معهود ، وأن بعض الناس قد يغلبه التعب وتقهره المشقة فى مسعاه الذى وجه عزيمته إليه ، فيضجر ولا يصبر ، وأن بعض الناس قد يشعر بقوة بدنه وعقله ، أو يحس بعزة فى سلطانه ورفعته مكانه ، أو ينظر إلى ما لديه من وفرة المال وغزارة الغنى ، فيشمخ بأنفه ويظن أنه أحرز الغاية ، ووصل إلى النهاية ، فيفتن بهذه النعمة . بعد أن ذكرت السورة كل ذلك أوضحت أن الميزان الصحيح لكل هذه الأعمال ليس هو وفرة الجاه والمال ، وهلكته فى أمور المعاش ، ولا فقدانه ، وإنما هو مقدار ما أنجز فاعلها فى مجالات ثلاثة ، هى :

- ١- تحرير الناس فى المجتمع فكراً وإرادة وعملاً .
- ٢- توفير الرعاية والطعام والكساء لمن لا يقدر منهم على إيجاده .

١- الامام محمد عبده : القرآن الكريم ، جزء عم ، ص ٧٦ - ٧٨ .

٣- التعاون مع الناس فى المجتمع ، صبورا على المكاره ، فى سبيل الدعوة إلى الحق والمحافظة عليه ، وفى سبيل نشر التراحم بين أفراد المجتمع ، فقال الله تعالى فى هذه السورة ذاكراً هذا الميزان ﴿ فلا أقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين أمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ (البلد: ١٠ - ١٧) .

أما سورة الفجر فتعرض الميزان الزائف الشائع بين الناس ، ثم تقدم الميزان الحق الذى ينبغى أن يتمسك به المجتمع لتسوده الحرية والعدالة ، فيقول الإمام محمد عبده مفسراً إياه " إن الله إذا أنعم على الإنسان وأوسع له فى الرزق ظن أن الله إصطفاه ورفعته على من سواه ، وجنبه منازل العقوبة ، فيفعل ما يشتهى، ناسياً الآخرين ، وربما ظن أن الله لا يؤاخذة على عمل يعمل ، وإذا امتحنه بالفقر فضيق عليه الرزق ، وربما كان ذلك من الله - لا عن إهانة له ، ولا إرادة لإذلاله - بل ليمحص قلبه بالاخلاص له ، وليظهر قوة صبره ، وتزهر الصفات الحميدة فيه ، ويشتد عوده . إذا امتحن الله بعض الناس بشئ من الضيق وقلة المال يظن هؤلاء أن الله أهانه ، وصغرت قيمته عنده ، ولم تكن لله عناية به ، ولذلك فليس يحاسبه على ما يصنع ، وهنا قد لا يقفون عند حد ، ولا تحجزهم شريعة أو قانون ، حيث صغرت نفوسهم عند أنفسهم ، فهم لا يبالون بما يفعلون " (١) .

فى رأى عامة الناس ، ميزان حسن العمل أو قبحه هو توفر المال ، أو توفر القوة البدنية ، أو كثرة الأولاد ، وغيرها من عناصر القوة ، وهكذا يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ﴾ (الفجر: ١٥-١٦) .

١- الامام محمد عبده : القرآن الكريم ، جزء عم ، ص ٧٦ .

الميزان الصحيح لحسن العمل هو مصرف القوة أو المال الذى يكسبه الفرد من هذا العمل ، أو هو محل وضع القوة واستخدامها ، لأن المال وغيره من وسائل القوة ذرائع لاستجلاب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم ، وليست غاية ، ومن هنا تحسب قيمة العمل الإقتصادية لا بعدد الأموال وكثرتها فى يد صاحب العمل ، بل بمقدار ما يحققه من مصالح للناس ، ويدراً من مفاسد ، وبخاصة للضعاف منهم العاجزين عن الكسب ، وقد قدم القرآن هؤلاء الضعفاء فى صورة اليتامى والمساكين : وهذا يؤكد الله تعالى بقوله فى الرد على أصحاب الميزان السابق ﴿ كلاب بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ (الفجر : ١٧ - ١٨) فلو أحس المكتسب للمال بما عسى أن يقع فيه اليتيم - وهو رمز لكل ضعيف - وشعر بهوانه، ثم عنى بإكرامه ، ولو أدرك الضيق الذى يعانىه المسكين - وهو رمز لكل عاجز عن كسب قوته، ثم حض على طعامه ، لكان ذلك دليلاً على حسن العمل ، لأنه بذلك يدعم الغاية الأولى للتربية ، وهى حفظ الفطرة وإفنائها، وهى كفالة حرية الإرادة لأفراده والحركة فى ظل التوحيد. فكيف يكون حراً من لا يملك نفسه ، ولا يملك قوته كاليتم والمساكين ، ومن يدرأ عنهم ما يمكن أن تجر إليه الإستهانة بشئون اليتامى والمساكين من فساد أخلاقهم وتعطيل قواهم ، وإنتشار العدوى منهم إلى بقية أفراد المجتمع .

١- غاية الأمان :

الأمن مقابل الخوف ، الخوف من السوء يصيب النفس أو متعلقاتها من مال وطعام وشراب، ومن ثم صنف علماء الاجتماع الحاجة إلى الأمان ضمن الحاجيات الأساسية للإنسان، وعدّه الإسلام حاجة أساسية يحتاج إليها الناس حاجتهم إلى الطعام ، فجاء قوله تعالى ممتناً على قريش بها ﴿ فليعبدوا ربّ هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (قريش: ٣-٤) .

الربط بين الأمن والحرية هو ربط بين شرط ونتيجة ، فلا حرية بغير أمن؛ لأن الأمن شرط اساسى لإمكان ممارسة الانسان حرية التعبير ، والملكية ، والأنتقال ، والعقيدة ... الخ ولذلك نبه الله سبحانه المسلمين فى أكثر من موضع فى القرآن إلى أن أرض الله واسعة ، فليها جر إليها من لا يأمن على نفسه فى مجتمع لا يعطيه قانونه حرية الفكر ولا يستطيع بالتالى أن يكون حراً فى عقيدته وحركته ، فقال ﴿ يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ، فإياى فأعبدون ﴾ (العنكبوت: ٥٦) ، ثم طمأنه ورغبه فى الهجرة فبين أنه أينما وجد الإنسان الحرية فسيجد الرزق ، فواهب الرزق ، ومحى الأرض بعد موتها هو الله وذلك بقوله ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة ﴾ (النساء : ١٠٠) ثم ختم السورة نفسها بتوجيه نظر المشركين من أهل مكة إلى نعمة الأمن ، التى ينبغى أن تكون دافعا لهم على التفكير الجيد فيؤمنوا بالله وحده ، فقال : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ (العنكبوت : ٦٧).

الأمن نتاج التوحيد أيضا الذى هو المكون الأساسى من مكونات الفطرة ، لأن الإيمان بالله ربا واحدا يبعث فى النفس الأمن ، ويوسع مداه، ويدفع الخوف الزائف ، فالأمن والأيمان عملية دواره يزيد كل منهما من الآخر، إلا إذا شاب هذا الإيمان ظلمٌ ، فإن ظلمت الأمة ، أى حادت عن نهج الله، إنتقصت الحرية من حيث لا يدري أبناؤها ، وضاع الأمن وجاء الخوف ، ولذا قال الله على لسان أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وهو يحاجج قومه ، عندما خوفوه بالقوة والبطش واسترهبوه ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من شاء ، إن ربك حكيم عليم ﴾ (الأنعام : ٨١-٨٣)

من هذه الحاجة وما قبلها يتبين أن شيئين يحفظان الأمة من الخوف ويحققان لها الأمن، هما الإيمان الخالص بالله وحده لا شريك له ، والإجراءات ونظم المعاملات التي يوفرها المجتمع لحفظ النفوس والأموال والأولاد .

الشئ الأول نفسى فى ذات الفرد ، تحققة التربية فى البيت وفى المدرسة وفى الحياة العامة ، وهو حصيلة الخبرات الناجمة عن الممارسات والأفكار التى يعيشها الفرد مع والديه ومعلميه ، التى يستخلص منها أن الله هو الخالق البارئ المصور ، نرجو منه وحده القوة والنفع والمعونة ، ولا نخاف من غيره ضراً ولا بأساً ، وهو فى جملته الحفاظ على الفطرة ومكونها الأول وهو التوحيد فى كل هذه الممارسات .

الشئ الثانى هو إلتزام الأمة بقانون شامل كامل عادل ، وهو الشريعة ، التى ورد بها القرآن والسنة ، فلا تأتى شيئاً من المفاصد إرضاء للهوى ، ولا تترك بعض المصالح عن جهل أو إهمال . وعندئذ يكون المقصود من قول الله تعالى ﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ لأنفسهم وإخوانهم ، فى إيمانهم وفى أعمالهم البدنية والنفسية ، ولا لغيرهم من المخلوقات ، من العقلاء والعجماء ، أولئك لهم الأمن من عقاب الله تعالى على إرتكاب المعاصى والمنكرات ، ومن عقابه على عدم مراعاة سننه فى ربط الأسباب بالمسببات " (١) .

قد يتبادر إلى الذهن أن تحقيق غاية الأمن يقوم أولاً على تجهيز الجيوش ، وإعداد قوات الأمن ، تحفظ بها الأمة النظام بين أبنائها ، وتدفع بها المعتدين . لكن خبرات الإنسانية منذ قديم الزمان فى كل الأمم مهما تباينت عقائدها أثبتت أن منظومة القيم فى الأمة وتمسكها بها ، وتعاونها فى الحفاظ على القيم العالية والأخلاق السامية ، سلاح أمضى وأقوى وأكثر فعالية فى أمنها داخليا وخارجيا.

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٧ ، ص ٤٨٧ .

ذلك لا يعنى الإستهانة بقوة تخيف العدو ، وتحمى الضعيف من القوى ، ولكنها ليست هى الأولى ، لأن هذه القوة نفسها فى حاجة إلى حماية . الأول هو الإلتزام بالشريعة وبما قدمته من قيم. يبين ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خطابه لقائد جيوشه سعد بن أبى وقاص . يقول فيه " أمرك ومن معك من الجند أن تكونوا أشد إحتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم . وإنا إن لم نهزمهم بديننا كانت لهم الغلبة علينا "

إلى ذلك المعنى يشير الله جل وعلا بقوله ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (النحل : ١١٢)

وظيفة الجيوش هى حفظ الأمة من عدوها الخارجى ، وقد حث القرآن والسنة على إعدادها وتجهيزها ، وإعداد أبناء الأمة للعمل فيها ، وهى وظيفة تربية أيضا ، لأن الأمم تتدافع والمبادئ تتصارع ، ولا يترك الباطل الحق دون منازع ؛ ولذلك قال الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ، وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾ (الانفال : ٦٠) وهكذا عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله : قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حج ميرور " ، متفق عليه ، وقد أوجب الله هذا الدفاع عن الحرية بأية محكمة هى قوله ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ (البقرة : ٢١٦) ويقول ابن كثير فى تفسيرها : " هذا إيجاب من الله على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الاسلام " (١) .

١- العافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جزء ١ ، ص ٣٦٧ .

٢- الانضباط والالتزام بالقيم:

هو المسؤولية الخلقية ، وتعنى بناء ما يمكن أن نسميه الضمير الخلقى فى أبناء الأمة، فلا يفعلون شيئاً، ولا يتركون آخر إلا بوازع من الداخل ، وفق منظومة القيم الاسلامية التى حددها القرآن فى آيات كثيرة ؛ منها قوله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (الانعام: ٩٠) . وقوله ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماً يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ (النساء: ٥٨) ، وقوله تعالى ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون ﴾ (النحل: ١٠٥) .

وقد بينت سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جوانب هذه المنظومة القيمية عملاً وفعلاً ، ووضحت كيف يتم تنفيذها ، فهذا أبو لبابة يربط نفسه بسارية المسجد- عقوبة لها على إفشاء سر ، لم يعلم بإفشاءه النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من المسلمين- وبأبى أن يفك وثاقه أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رضى ومغفرة من الله . وهذه حادثة المخزومية التى سرقت ، فىأبى الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة فى تنفيذ الحد ، ويقول قولته المشهورة لحبه زيد بن حارثة . " أتشفع فى حد من حدود الله يا زيد !! ، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فىهم الشريف تركوه وإذا سرق الفقير أقاموا عليه الحد. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " وهذه الغامدية التى جاءت تطلب راضية / من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليها حد الزنا فى واقعة لم يرها فيها أحد .

هذا الالتزام من قبل الحاكم والمحكومين ، هو الذى يحفظ للفترة نقاءها ، وللتوحيد جوهره ، ويفتح للحرية أوسع الأبواب ، وهو ترجمة عملية لما قرره الله تعالى فى القرآن بقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على

أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴿ (النساء: ١٣٥) .

أما من حيث المنهج فباب المعاملات فى الفقه الإسلامى واسع ، يحدد السلوك القويم فى البيع والشراء ، والزواج والطلاق والميراث ، والحرب والسلم ، والحكومة والاجتماع ، والمخالطة والعزلة ... الخ ، وقد أفاض القرآن فى ذلك مثل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم ، غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد﴾ (الانفال : ١) ، وقوله ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر ، نصيباً مفروضاً﴾ (النساء : ٧) وقوله ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (الاسراء: ٣٥) .

ولقد نفذت الأمة الإسلامية طوال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين، وفى عصور أخرى هذا المنهج، ووضحت فى تطبيقه تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول مثلاً : " من غشنا فليس منا " ، ويقول " البيعان بالخيار ما لم يفترقا " ويقول : لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته " ويقول " كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه " .

دليل الالتزام هو إعمال منظومة القيم ومنهاجها ، ولا يكون إلا عن طريق الممارسات والاستخدامات التى توجه إليها هذه القيم وذلك المنهج ، لأن مهمة الوسط الاجتماعى الذى تقع فيه هذه الممارسات هى توضيح هذه القيم وغرسها فى نفوس افراد الأمة ، وتنمية الضمير الخلقى الذى أشرنا إليه ، وتوجيهه إلى أفضل استخدام ممكن . وهذا يستدعى من الأمة كلها أن تحرص مؤسساتها الاجتماعية والقضائية ، والسياسة والتنفيذية على التمسك بهذه الممارسات ، التى يستلزمها طبيعة التفاعل الاجتماعى ، يستدعى من المدرسة والجامعة أن تكونا مجتمعاً تسود معاملاته هذه القيم ، ويتطلب

أن تكون طريقة الدراسة داعية إلى الأعمال الجماعية التي تتيح ذلك الوسط الاجتماعى لتنفيذها وتنمى السلوك التعاونى ، وإصدار الأحكام ، والتفكير الحر الناقد ، المبدع ، وتتيح للطلاب الفرصة لممارسة المنهج وتطبيق القيم فى سلوكهم المعتاد؛ والإلتزام بها .

الالتزام الخلقى غاية إجتماعية للتربية وهو دعامة أساسية للأمن وقاسك الأمة ، ولذلك جاءت آية أداء الأمانات يتبعها ثمان آيات توضح :

- علو شأن التمسك بهذه القيم ، وذلك فى قوله تعالى ﴿ إن الله نعمنا يعظكم به ... ﴾ الى قوله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ أى نعم الشئى أن تؤدوا الأمانات وأن تحكموا بالعدل .

- ان الله رقيب يسمع ما نقول ويرى ما نفعل ، لا يخفى عليه شئ من أعمال الناس الظاهرة ولا من نياتهم .

- أن الإلتزام بأداء الأمانات وإقامة العدل يقتضى الإلتزام بالشرعة كلها ، وطاعة الله فى كل ما يأمر به أو ينهى عنه ، وطاعة الرسول فى كل ما يبلغ للناس ، ويهديهم إليه ، وطاعة ما يستحدثه ولى الأمر .

- أن هذا الإلتزام بالشرعة معناه الإلتزام بالتوحيد الخالص ، وبعده عن النفاق.

- أن الإلتزام دليل الإيمان فختتم الآيات الثمان بقوله ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (النساء : ٦٥).

الإلتزام الخلقى فى الإسلام منشؤه الفرد نفسه مهتديا بشرعة الله ، هو الفرد نفسه ؛ بفطرته ، وما جبل عليه فى خليقته ، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس :

٧ - ١٠) ، فجوهر الأخلاقية يكمن فى نشاط ذاتنا المفكرة ، ولهذا زدنا الله ببصيرة يفسرها قوله تعالى ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ (القيامة : ١٥) ويشرح ذلك الرسول صلى عليه وسلم قائلًا : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه ^(١) . ففى الانسان قوة باطنة ، لا تقتصر على نصحه وهدايته ، بل إنها توجه اليه بالمعنى الصريح أوامر : أن يفعل أولاً بفعل ^(١) .

الأخلاقية الصحيحة لا تجرد مجالها فى الإلزام من خارج النفس ، من أى قوة ، أيا كانت ، سواء كان الفرد مدفوعاً بالغريزة والهوى - كما يدعى بعض الغربيين - مجبوراً بها على أداء فعل ما ، أو محمولاً بالعاطفة ، أو مأموراً بالبيئة استبداداً ، بل لا بد أن يمر أى من هؤلاء بالضمير ، ويتعرض لعملية إنضاج حقيقية ، يخرج منها بمظهر جديد ، يقويه العقل ويفرضه ، ولهذا يقف القرآن ضد الإلزام القاهر للنفس ، ويحذر الفرد منه كعدو للأخلاقية ، فيقول الله فى شأن الإلزام الناشئ من خضوع الفرد للغرائز " ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله " ويقول فى شأن الإلزام الناشئ من التقليد والعاطفة ، ذاماً للكافرين ﴿ قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ (المائدة : ١٣٢) ثم يحدد مسؤولية العقل الذى فطرنا عليه فيقول ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، ويرفض الأمر المستبد حتى ولو كان من تلك الأوامر التى فيها صلاح شأن الفرد ، فيقول مخاطباً الرسول صلى عليه وسلم ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس:٩٩) ^(٢) .

لكن العقل ، هذا النور الفطرى قد يغلفه الهوى كما تدفعه الغرائز ، وتفسده العادات ، وهو محدود بسعته ، قاصر عن أن يقدم فى كل أمورنا شرعا تتوفر فيه فى

(٢٠١) محمد عبد الله دراز : دستور الاخلاق فى القرآن - ص ٢٥-٢٧

وقت واحد صفات الحسية والكمال والشمول وهي ضرورات الحكم الأخلاقي ، ولذلك لزم رجوعه إلى سلطة أعلى من أجل الحصول على هذه الصفات الثلاثة ، وهي سلطة يجب أن تكون ذات علم مطلق ونور أبدى ، وهي الله .

على أن القرآن والسنة لا تقدم هذا الأمر الإلهي على أنه سلطة مطلقة مكتفية بنفسها لكي تكون في أعيننا أساسا لسلطان الواجب ، بل قرن القرآن كل حكم بما يسوغه ، وربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمة الأخلاقية التي تعد أساسه ، وذلك في إطار عام ، هو قول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ (الأنفال : ٢٤) وقوله ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ (الاحزاب : ٣٦) .

هذا الالتزام بالقيم ، الالتزام بالحق ، الالتزام بالشرعية والدعوة لها ، والصبر على تطبيقها وإنفاذها في كل حياة المجتمع هو الغاية الاجتماعية الدالة على الفلاح ، وبذلك جاءت سورة من القرآن محكمة قصيرة هي " والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " ، وفي توضيح هذا الالتزام الوارد في معناها يقول الامام محمد عبده " الحق هو ما تقر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة ، وهو ما أرشد اليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة ، فشرط النجاة من الخسران ان يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ، ويمكنوه من قلوبهم ، ثم يحمل الناس بعضهم بعضاً عليه بأن يدعو كل صاحبه الى الاعتقاد بالحقائق الثابتة التي لا ينازع فيها العقل ، ولا يختلف فيها النقل ، وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات التي لا قرار للنفوس عليها ولا دليل يهدى إليها ، ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر في الألوان حتى تستطيع النفس دفع ما يرد عليها من باطل

الأوهام ، وهذا إطلاق للعقل من كل قيد ، مع اشتراط التدقيق فى النظر ، لا الذهاب مع الطيش والانخداع للعادة والروهم . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه ، فهو من الخاسرين ، كما ترى فى الآية بالنص الصريح الذى لا يقبل التأويل " (١) وقد روى أن كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم إذا إلتقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، وذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون عليه

٣- المسؤولية الاجتماعية أو الولاية الاجتماعية :

وهى تعنى مساهمة الفرد فى رقى الجماعة بعمل يحفظ ، أو يزيد من حرية أفرادها فى الرأى والإرادة والحركة المنضبطة . وقد وضع أركانها القرآن الكريم فى ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تقويما لمجتمع مكة باعتباره صورة لمجتمع الناس حيث ينعدم التوحيد وتتلاشى ضوابط الشريعة ، وتصويراً للمجتمع الكامل فى المدينة المنورة ، وترجمة لشعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة ، هادفاً إلى الحفاظ على الفطرة التى سميها الحرية المنضبطة بالتوحيد وتنميتها .

أساس هذه المسؤولية هو الولاية المتبادلة بين أفراد المجتمع ، بحيث يكون كل واحد منهم فى موقعه ولياً للجماعة أو لمجموعة من أفرادها ، حسب اتساع الدائرة التى تتيحها له قدراته ودوره الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، وذلك وفق آية القرآن الحكيم التى تقول ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقسمون الصلاة ويؤتون الزكاة . ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله . إن الله عزيز حكيم ﴾ (التوبة : ٧١) .

١-الامام محمد عبده : " القرآن الكريم ، جزء عم " ، ص ١١٦

الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، وما لم يجتمع فيها ذلك لم يطلق على صاحبها اسم الوالى أو الولى ، وتشير مادة " ولى " ومن مشتقاتها الولى والمولى إلى ذلك أيضا . لفظ المولى اسم يقع على معانٍ كثيرة ، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتك والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والخليف والعقيد والصهر والصدیق والنصير والصاحب والشريك ومنه الولى بمعنى القرب والدنو " .. وبهذه المعانى جاء ت فى القرآن مثل قوله تعالى " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم " ، وقوله " الله ولى الذين آمنوا - قال أبو اسحق الله وليهم فى حجاجهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم ، لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية " (١) وبه جاءت أيضا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله " أنا ولى من لا ولى له " وفى قوله " لانكاح بغير ولى وشاهدى عدل " وهكذا خلق الله الخلق وأحوج بعضهم الى بعض لتقوم كل طائفة بمصالح غيرها ، فيقوم بالأصاغر الأكابر ، والأصاغر بمصالح الأكابر ، والأغنياء بمصالح الفقراء ، والفقراء بمصالح الأغنياء ، والنظراء بمصالح النظراء ، وهذا القيام ينقسم الى جلب مصالح الدارين أو أحدهما أو إلى دفع مفاسدهما أو أحدهما " (٢) يُحدد هذه الولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أحاديث وبخاصة ، الأول قوله صلى الله على وسلم : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخدام راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته " متفق عليه . والثانى قوله صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة " قالوا لمن يارسول الله ، قال " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " . رواه مسلم . والثالث عن جرير بن عبد الله ، قال " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم "

١- ابن منظور : لسان العرب ، ص ٤٩٠٣ .

٢- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام : قواعد الأحكام فى مصالح الأنام ، ج ٢ ، ص ٨١ .

متفق عليه .

يبين الحديث الأول حتمية الولاية أو فرضيتها على كل فرد ، وتنوعها واتساعها تبعاً للدور والمركز الاجتماعي ، ويشير إلى إيجابيتها بمعنى أن يؤدي الولي أفعالاً وأقوالاً تحقق لمن هم في دائرته السعادة ، من جلب مصلحة أو درء مفسدة . أما الحديث الثاني فيوضح اتجاه سريان هذه الولاية ، فهي تتحرك في جميع الاتجاهات محدودة بدور الفرد في المجتمع وقدراته أيضاً فهو ينصح عامة المسلمين وخاصتهم .

تقوم هذه الولاية على ثلاث دعائم ، الأولى حب الناس والثانية التعاون بينهم والثالثة التناصح .

الحب :

وهو عاطفة محلها القلب تتبلور حول الإنسان ، ينشأ عنها اتجاه بالقرب نحو مصالحه ، وبالبعد عن مفسده ، وينتج عن هذا القرب - سواء كان قريباً مادياً أو نفسياً - سرور ورضى نفسى قد تصحبه لذة مادية أو كسب مادي . وكلما تكونت هذه العاطفة داخل إطار من القيم النبيلة قوى الاتجاه الإيجابي نحو موضوعها ، وزاد تجانس المحبين ، وقياسكهم ، على عكس تلك التى تتكون حول هوى أو شهوة .

وهكذا نجد الحب الذى تقوم عليه الولاية الاجتماعية فى التربية الإسلامية قائماً داخل إطار التوحيد وما أنزله الله من شريعة ، أشار إليها بدعوته إلى هذا الحب بقوله ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (آل عمران : ١٠٣) . حبل الله هو القرآن والسنة النبوية ، والحب فى الله هو الحب القائم داخل إطار قيم القرآن والسنة ، وهو الذى ألف بين قلوبهم ، هو روح الولاية الاجتماعية .

يؤكد ضرورة هذا الحب قول الله تعالى فى الآية التالية ، ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (آل عمران : ١٠٥) فقد جعل الله الفرقة والبغض كقراً بدليل الآية بعدها وهى قوله ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . ﴾ (آل عمران : ١٠٦) ، وبدل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ثم يؤكد ذلك مرة ثالثة بالاشارة إلى صفة خير أمة، فهى التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ... " (١)

هذا الحب هو الرباط الذى يوحد الولى بمن يواليه ، ومن ثم يتشاركون الحياة ويتعاونون ويتناصحون ، ولذلك كانت أول خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجتمع المسلمين بالمدينة المنورة قائمة على تدعيمه فى نفوس أبناء هذا المجتمع ، وجاء فيها قوله ، " لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شئ إن فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام وأطعموا الطعام " وهذه سنة تبين لرجال التربية أن الطريق الى الحب بعد الايمان بالله هو أن يطيب القول بين أفراد الجماعة فيحى بعضهم بعضا بالسلام ، وأن يجتمعوا معا على طعام فى مناسط الحياة ، وخيركم من جاد بما عنده ، فإن لم يتيسر هذا العمل الايجابى البسيط ، وهو التحية بالسلام والمشاركة فى طعام ، فليكن العمل الايجابى الأيسر ، وهو أن يمسك الفرد لسانه ويده فلا يؤذى بهما الناس ، وذلك مصداق حديث متفق عليه هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده " .

ثم كانت الخطبة الثانية تدعيم هذا الحب واطهاره بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أخوة فاقت فى رباطها أخوة الدم ، وفيها تجلت ولاية المسلم للمسلم ، وشهد لهم الله

١- مجمع البحوث الاسلامية : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، حزب ٧ ، ص ٦٢٦ .

يقوله ﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (الحشر : ٩) .

" المحبة إذا فقدت لا يحل محلها شئ في منع الشر والوقوف عند حدود الحق إلا فضيلة العدل ولا يتم العدل إلا بحب من تعدل بينهم ؛ ولذلك جعل الاسلام المحبة فضيلة والعدل فريضة وأرجبه لجميع الناس في الدولة الإسلامية لا يختص به مسلم دون كافر ، ولا بر دون فاجر ، ولا غنى دون فقير " (١) وهكذا الحب أساس أداء المسؤولية الاجتماعية نعلمه أبناءنا ونعودهم حب الناس جميعا ، في إطار قيم الشريعة الإسلامية ، وأولها العدل .

التعاون :

هو مشاركة في التجربة أخذاً وعطاءً ، وهو نشاط يجعل خبرة الفرد أكثر فائدة للآخرين وأكثر قيمة ، يشري خبراتهم ويشرون خبرته ، وهو نشاط أساسه الحب أو الاهتمام بالآخرين ، لا يقف عند حد التعاطف أو الإرادة الطيبة وإنما هو أفعال عملية تجسد هذا التعاطف وتدلل على هذه الإرادة الطيبة ، مهما صغرت هذه الأفعال حجماً أو قلت عدداً ، يبين ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل سُلّامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الإثنين صدقة ، وتُعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وقبض الأذى عن الطريق صدقة " ، ذلك لأن الناس مرتبطون بعضهم ببعض فى المعاش ، لا يسهل على واحد منهم أن يعيش إلا مجتمعاً متعاوناً مع غيره ، فكل واحد منهم يعيش بشئ من عمله . لأن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيقه جميع ما يحتاج إليه ، وعليه أن يتعاون مع أفراد المجتمع . فيحفظ

١- محمد رشاد رضا : تفسير المنار ، جزء ١ ، ص ٦٣

جهده وجهدهم بعيدا عما لا ينفع ، وما قد يضر ، فلا يخوض مع الخائضين ولا يشجع أولئك الذين يدخلون فى أبواب الباطل ويضيعون جهدهم فيها ..

وهكذا يصف الرسول عليه الصلاة والسلام الفرد المخالط للناس الصابر على المشقة والأذى فى تعاونه معهم بأنه خير ممن يعتزل الجماعة ، وذلك بقوله : المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم " رواه احمد والترمذى . وهكذا يأمر الله تعالى بالتعاون الإيجابى بقوله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى . ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ﴾ (المائدة : ٢) .

تشير الآيات والاحاديث الى أن التعاون يتحقق على مستويين : الأول التعاون المباشر ويكون فى سياق أنشطة الحياة العادية ، بمعنى أن يشارك الفرد أعضاء الجماعة- مهما اختلفت مراكزهم وأدوارهم - فى رفع العنت عنهم ، أو فى تحريرهم من ذل السؤال أو من قيود الضيق النفسى التى تحول دون حرية الفكر أو الحركة بسبب ظروف الحياة وتفاعلاتها ، سواء كان تعاونه نتيجة الاستعانة به ، أى بطلب العون منه ، أو كان معونة ناشئة من تلقاء نفسه بأن يسد العجز فى إتمام عمل يعجز عنه الآخر وحده ، أو بأن يساعده فى إتمامه . وهذا تعاون مباشر يقع من الفرد لواحد أو أكثر من أعضاء الجماعة .

المستوي الثاني من التعاون غير مباشر ، يتم عندما لا يستطيع الفرد تقديم المعونة وحده ، أو يعجز عن توفيرها بمفرده ، لكبير حجمها ، وتجاوزها طوقه ، فيحث على المعونة أو يقدمها عن طريق إسهامه فى مؤسسات أو تنظيمات يقيمها أفراد المجتمع كالجمعيات الخيرية بأنواعها والمؤسسات المدنية والعلمية ، والاقتصادية ، التى تعمل على تنمية المجتمع ، وحفظ النظام ، والانضباط ، والتقدم وهذا ما يدل عليه السياق الذى وردت فيه الآية التى أمرت بالتعاون ، فهى والإحدى عشرة آية من صدر

سورة المائدة تأمر المؤمنين بأن يفوا بالعقود ، وأن يحافظوا على حدود الله ، فيحلوا ما أحل الله ، ويحرموا ما حرم ، وأن يجتهدوا فى إقامة العدل عامة ، وهى أمور تتجاوز العمل الفردى ، ولذلك أمرهم بالتعاون ، فهو تعاون على البر والتقوى تقوم به مؤسسات مجتمعية .

إلى هذا النوع الثانى ينبه القرآن تنبيهاً محدداً ، ويدعو اليه فى أكثر من موضع، مثل قوله واصفاً المكذب بالدين «أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين» (الماعون: ١-٣) وقوله فى وصف المجتمعات الفاسدة «كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين» (الفجر : ١٧: ١٨) فقد جاء التعبير بلفظ " الحض على الطعام " فى أكثر من موضع ليفيدك أنه إذا عرضت حاجة المسكين ولم تجد ما تعطيه ، فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه ، وفيه حث " للمؤمنين " على إغاثة الفقراء ولو يجمع المال من غيرهم ، وهى طريقة الجمعيات الخيرية ، فأصلها ثابت فى الكتاب بهذه الآية " (١) .

كذلك يكون التعاون فى اتجاهين : الأول بدهى ، وهو أن تقدم المعونة للآخر لينجز عملاً طيباً ، أما الثانى فهو أن تعينه على ألا يعمل عملاً سيئاً أو تمنعه من أدائه ، فقد روى البخارى أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل يا رسول الله ، هذا نصره مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه " وهذا تفسير للجزء الثانى من الآية الأمرة بالتعاون فى قوله تعالى " ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " فالأمر بالتعاون على البر والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية فى القرآن ، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التى تنفع الناس أفراداً وأقواماً فى دينهم ودنياهم ، وعلى كل عمل من أعمال التقوى التى يدفعون بها المفسد والمضار عن أنفسهم ، فجمع بذلك

١- الامام محمد عبده : القرآن الكريم ، جزء عم ، ص ١٢٢

بين التحلية والتخلية ، ولكنه قَدِم التحلية بالبر ، وأكدها بالنهي عن ضده ، وهو التعاون على الإثم والعدوان ... والأثم يطلق على كل ذنب ومعصية ، والعدوان تجاوز حدود الشرع والعرف في المعاملة والخروج عن العدل فيها " (١)

التناصح :

معترك الحياة هو البوتقة التي تتربى في داخلها الأمة ، وهو الذي يشد بناءها بما يمسها من حوادثه ، والحاجات ووقعها ، والضرورات ولدغها ، فكما يؤدب الصبي أبواه يؤدب الجماعة شدة وقع الحوادث الكونية فيها ، حيث تكشف لهم التجارب خطأهم فيما يتوهمون ، وتأتيهم بعلم ما لم يكونوا يعلمون ، فيعقلوا كثيرا من أصول اجتماعهم ويكشفوا عن عناصر بنيتهم المعنوية .

ولا بد أن يكون للأمة حفاظ يحفظها في هذا المعترك ، ترجع اليه فيضبط حركتها ، ويكشف لها طريق الصواب ، ويجمع كلمتها ، ويسدد خطاها . هذا الحفاظ هو الشريعة ، ولكن كيف نضبط بها الحركة ونحفظ بها الوحدة ، ونكشف بها الصواب في هذا المعترك ، ذلك ما بينه الله جل وعلا في قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠) . ذلك هو التناصح ليرد أفراد الأمة بعضهم بعضا الى ضوابط الشريعة القائمة على التوحيد ، والتي يكشف عنها في الآية لفظ " وتؤمنون بالله " جملة القول أن الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم ، كما تدل الآية في ظاهرها المتبادر ، وغيرها من الآيات كقوله تعالى في بيان أسباب هلاك مجتمع بنى اسرائيل ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ (المائدة : ٧٩) ، وكذلك عمل رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ؛ (٢) .

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

٢- الامام محمد عبده ، في " تفسير المنار " ، محمد رشيد رضا ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

هذا التناصح حرز للأمة ، فإن الناس إذا تركوا الدعوة الى الخير وسكت بعضهم لبعض عن مخالفتهم للمعايير والقيم التي ارتضوها خرجوا عن معنى الأمة ، وكانوا أفضالاً متفرقين لا جامعة لهم . ولقد كان المسلمون فى الصدر الأول ، لا سيما فى زمن أبى بكر وعمر على هذا النهج من المراقبة ، والنصيحة للقائمين على الاعمال العامة حتى كان الصعلوك من رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين وينهاه فيما يرى أنه الصواب ، وكان لافرق فى ذلك بين رجل وامرأة ؛ وحادث المرأة التى نبهت عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى خطأ تحديد مهور النساء مشهور معروف . وعندها قدر عمر بن الخطاب هذا العمل منها والتناصح فى الخير ، وقال أخطأ عمر وأصابت امرأة . وقد رفع تعالى من قيمة هذا التناصح وجعله بديلاً للجهد فى سبيل الله لغير القادرين عليه بقوله ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ؛ ما على المحسنين من سبيل؛ والله غفور رحيم ﴾ (التوبة: ٩١) " النصيحة والنصح تحرى ما يصلح به الشئ، ويكون خالياً من الغش والخلل والفساد، من قولهم نصح العسل، ونصح إذا كان مصفى خالصاً ، ومنه يُعلم أن من النصح لله ورسوله فى هذه الحالة كل ما فيه مصلحة للأمة ، ولا سيما للمجاهدين منها، من كتمان سر، وحث على بر، ومقاومة خيانة الخائنين فى سر وجهر، فالنصح العام ركن من الأركان المعنوية للإسلام ، فالآية تبين أن لا إثم على القاعدين عن الجهاد الواجب من هذه الاصناف الثلاثة إذا انصحوا لله ورسوله ، أى إذا أخلصوا لله الايمان، وأخلصوا للرسول صلى الله عليه وسلم الطاعة وأداء الأمانة بالقول والعمل (١) .

هذا التناصح عام واجب على جميع أبناء الأمة، ولا يعفى منه أحد بحجة أنه يكفيه صلاحه نفسه وقيامه بعمله، مسيئنا فهم الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم

١- محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج ١٠ ، ص ٢٠٧ .

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴿ (المائدة: ١٠٥) فقد روى أحمد، والترمذى وصححه أبو يعلى، وابن حبان، والدارقطنى، والبيهقى، وكلهم عن طريق قيس بن حازم قال: قام أبو بكر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وإنكم تضعونها فى غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب " ولأبْن مردويه عن ابن عباس قال " قعد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سُميَ خليفة رسول الله، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم مَدَّ يده فوضعها على المجلس الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره. ثم قال: سمعت الحبيب وهو جالس فى هذا المجلس يتأول هذه الآية... ثم فسرها، فكان تفسيره لنا أن قال: نعم ليس من قوم يعمل فيهم بمنكر، ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً، ثم لا يستجاب لهم. ثم أدخل أصبعية فى أذنيه فقال. ألا أكون سمعته من الحبيب صُمَّتاً (١) .

لا ينفصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الحفاظ على التوحيد، الحرية المستنيرة، فهى منبعه وهو سياجها؛ لأن التناصح يقوم على الإحساس بالشركة فى الأعمال. والشركة فى عاندها؛ ومن ثم يرى كل فرد فى المجتمع الآخر صورة له، تجب له النصيحة إن أخطأ، والتشجيع إن أحسن. وفى هذا حديثان للنبي صلى الله عليه وسلم. الأول أخرجه البخارى عن النعمان بن بشير أنه صلى الله عليه وسلم قال: مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا. لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً، الحديث الثانى رواه أحمد فى

١- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج ٤، ص ٢٦

مسنده عن أبى سعيد، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحقرن أحدكم نفسه. قالوا يا رسول الله : كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن عليه مقالا ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: مامنك أن تقول فى كذا وكذا؟ فيقول : خشية الناس. فيقول: إياى كنت أحق أن تخشى .

هذا التناصح ، هذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستلزم إعداداً تربوياً، فالمواطن فى حاجة إلى قدر أساسى من العلم بالدين والدنيا، يصلح به معاشه، وهو كذلك بحاجة الى أن يعرف كيف يحافظ على ذلك القدر وينميه لنفسه ، وإخوانه ، وكيف يعاونهم فى حفظه ، وكيف يحفظ لهم وله نظام حياتهم ومعيشتهم بآداب العامة ومعاملات، ويتدرب على ذلك من صغره، فلكل فئة عمرية تكاليف، لمجتمع الطفولة آداب ونظام، ولمجتمع الشباب آداب ومعاملات، ثم للمجتمع العام نظام ومعاملات.. من المسؤول عن حفظها والحفاظ عليها وتطويرها ؟ إنها التربية .

أبسط مثال لدور التناصح هو الحفاظ على قواعد المرور وسلامة الطريق وهى التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها شعبة من شعب الايمان بقوله : الايمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " . من يقوم به؟ كلنا مسؤول عن ذلك وفق دوره الاجتماعى وقدراته .

النصيحة نوعان عامة وخاصة . أما الخاصة فهى أن يتخصص بعض أفراد الأمة فى الدين، فيعرفون أسرار الأحكام وحكمة الدين وفقهه ، فيتولون بذلك تعليم الناس عامة أمور دينهم ليكونوا بدورهم واعين بالقيم واطار المعاملات ، فيتناصحون فيما بينهم على أساس سليم، وذلك تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة : 111)

١٢٢) وإعمالاً للآية ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير وأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

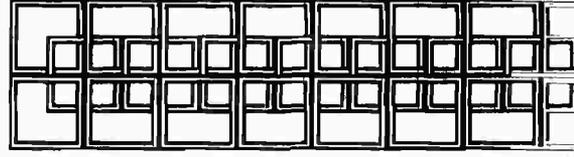
أما النصيحة العامة، فهي التي يقوم بها أفراد الأمة جميعاً فيما يكون بينهم بعضهم وبعض في شئون الحياة الجارية، ويستوى في هذه النصيحة المتخصص في علوم الدين وغير المتخصص، وهي ما يكون بين المتعارفين من الدلالة على الخير والحث عليه، والنهي عن الشر والتحذير منه، في إطار منظومة القيم الإسلامية. " ولا يقبل هنا الاعتراض على القول بالعموم بحجة أنه يشترط فيمن يأمر وينهى أن يكون عالماً بالمعروف الذي يأمر به والمنكر الذي ينهى عنه، وفي الناس جاهلون لا يعرفون الأحكام، ولكن هذا الاعتراض لا ينطبق على ما يجب أن يكون عليه المسلم من العلم، فإن المفروض الذي ينبغى أن يحمل عليه خطاب التنزيل في قول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠) هو أن المسلم لا يجهل ما يجب عليه، وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين المعروف والمنكر، على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة. والمنكر ضده، هو ما أنكرته العقول والطباع السليمة، ولا يلزم لمعرفة هذا التخصص الدقيق، لأن المرشد إليه مع سلامة الفطرة كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر والعمل، والتي ينبغى أن يقف المواطن في مرحلة التعليم الأساسي على الضرورى منها وهو ما لا يسع أحداً جهله، ولا يكون المسلم مسلماً إلا به، فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوزوا أن يكون المسلم جاهلاً، لا يعرف الخير من الشر، ولا يميز بين المعروف والمنكر، وهو لا يجوز ديناً (١)

١- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج٤، ص٢٣

" كذلك ينبغي أن نفرق هنا بين النهي عن المنكر - وهو جانب من جوانب التناصح- وبين تغيير المنكر بالفعل ، وهو شأن ولى الأمر ، وهو مرتبة خاصة ، غير مرتبة التناصح ، ولا بد فيها من قدرة خاصة ، ولذلك أجمع العلماء أنها من خصائص الحكام ، فيشترط فيها إذنهـم " (١) .

١- الامام محمد عبده ، عن محمد رشيد رضا ، تفسير المنارج ٤ ، ص٢٤

المراجع



- ١ - ابن منظور المصري : لسان العرب ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ .
- ٢ - أبو اسحق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، بقلم عبد الله دراز ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت .
- ٣ - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، القاهرة ، لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٥٦ هـ .
- ٤ - _____ : ميزان العمل ، تحقيق وتقديم سليمان دنيا ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٦٤ .
- ٥ - أبو الحسن علي بن محمد التلمساني : الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٠ .
- ٦ - أبو العباس أحمد القلقشندي : صبح الأعشى وصناعة الإنشاء ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .
- ٧ - أحمد الأهواني : التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

- ٨ - أحمد فريد رفاعى : الغزالي ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبي ، سلسلة
زعماء الفلسفة والأدب والأخلاق ، ١٩٢٦ .
- ٩ - الإمام محمد عبده : القرآن الكريم ، جزء عم : تفسير ، القاهرة ، مطابع
الشعب ، كتاب الشعب ، ع ١ ، د . ت .
- ١٠ - _____ : فاتحة الكتاب ، القاهرة ، مؤسسة الطباعة لدار التحرير ،
كتاب التحرير ، ع ١ ، ١٣٨٢ هـ .
- ١١ - چون ديوى : الديمقراطية والتربية ، ترجمة نظمي لوقا ، القاهرة ، مكتبة
الأنجلو المصرية .
- ١٢ - حيدر آل حيدر : ملاحظات حول الثقافة والمنهج ، المسلم المعاصر ، ع ٤٦ ،
س ١٢ ، ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ .
- ١٣ - دى . جى أوكونور : مقدمة فى فلسفة التربية ، ترجمة محمد سيف الدين
فهيمى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ .
- ١٤ - الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو
المصرية ، ١٩٧٠ .
- ١٥ - الشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ : فتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد ،
القاهرة ، مطبعة المشهد الحسيني ، ١٩٦٦ .
- ١٦ - عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطى) : القرآن وقضايا الأنسان ، ط ٢ ،
بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ م .

- ١٧- عباس العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٨٨ .
- ١٨- عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .
- ١٩- عبد العزيز جاويش : الإسلام دين الفطرة ، القاهرة ، دار الهلال ، كتاب الهلال، ع ١٨ ، د . ت .
- ٢٠- عبد الكريم الخطيب : التفسير القرآني للقرآن الكريم ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٠ .
- ٢١- عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد فى الإسلام ، ط ٦ ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م .
- ٢٢- عز الدين بن عبد السلام السلمى : قواعد الأحكام فى مصالح الأئام ، راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٠ .
- ٢٣- عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، د . ت .
- ٢٤- فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير ، القاهرة ، المطبعة المصرية الميرية ، ١٢٧٨ هـ .
- ٢٥- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٧٩ .
- ٢٦- محمد اسماعيل البخارى : صحيح البخارى ، القاهرة ، دار الشعب ، د . ت .
- ٢٧- محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار ، القاهرة ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .

٢٨- محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، تونس ، الدار
الترفيقية، ١٩٨٤ .

٢٩- محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، تعريب وتحقيق عبد
الصبور شاهين ، مراجعة السيد محمد بدوي ، الكويت ، دار البحوث العلمية ،
١٩٨٧ .

٣٠- محمد عيسى رفقي : نحو أسلمة علم النفس ، المسلم المعاصر ، ع ٤٦ ،
١٢٣ ، ربيع الثاني ، ١٤٠٦ هـ .

٣١- مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري : صحيح مسلم بشرح النووي ، القاهرة ،
المطبعة المصرية ، ١٩٢٣ م .